AMERICAN JOURNALS
Open Access, Peer Reviewed Journals

American Journal of Research in Humanities and Social Sciences
ISSN (E): 2832-8019 Volume 35, | April - 2025

LITERARY DIALOGUE REFLECTIONS ON THE NOBLE QURAN (SURAT TAHA AS A MODEL)

Munadhil Adil Kasim
Imam Kadhim Faculty of Islamic Sciences University
munadil.adil@iku.edu.iq

Emad Kadhim Katea
Imam Kadhim Faculty of Islamic Sciences University

Farah Sami
Imam Kadhim Faculty of Islamic Sciences University

ABSTRACT

The Holy Quran is replete with dialogue, employing it as a fundamental method for persuasion and communication among individuals of many races, beliefs, thoughts, and perceptions regarding Allah, existence, the unseen, and the hereafter. This encouraged me to halt and contemplate the principles, etiquette, and prerequisites of debate in the Holy Quran, particularly the discourse among contradictory perspectives. The Almighty proclaims: "Say, "You will not be asked about what we committed, and we will not be asked about what you do." What captivated my attention was his portrayal of the injustices against Muslims as criminal acts: {Say, "You will not be asked about what we committed}, whereas he depicted the injustices against non-believers in a neutral manner, refraining from a negative stance, stating: {and we will not be asked about what you do}. The two descriptions stem from the prior assumption in the preceding verse, which places the interlocutors on equal footing without preconceived biases {And indeed, we or you are either upon guidance or in clear error}. They undoubtedly provide the most suitable foundation for a serious and constructive dialogue aimed at persuasion and subsequent reform. This topic pertains to the re-invocation of the Holy Quran , which has significantly shaped this nation, leading to its identification as the nation of the Quran , and has maintained a notable influence in its existence. An objector can enquire: How is that possible when he recites continuously, both day and night? This does not alter the truth in any way. It is not merely a request for additional recitation, but rather an appeal for contemplation, comprehension, and action beyond that. It is evident that the interpretation of the Holy Quran has significantly changed over time. In ancient times, if the nation regarded the Holy Quran as its foundational point, purpose, and focal concern—serving as both the starting point and the reference for measuring and evaluating the cultures of peoples and civilisations that

KEYWORDS

Reflections, Literary dialogue, The Holy Quran, Surah Taha

embraced it—our contemporary circumstances have undergone significant transformation. This scenario necessitates a thorough examination of the fundamental question: "How do we engage with the Quran ?" Despite the problem's extensive and multifaceted nature, the assertion that it may be addressed in any study endeavour is illusory. Nonetheless, this does not preclude their contribution to the provocation, which we hope will not be in vain. Consequently, adhering to the principle of "what is not perceived does not depart," I selected the domain of dialogue in the Holy Quran , aspiring that our contributions may foster a broader appeal for enhanced communication, potentially mitigating the severity of the conflicts observed among individuals, nations, and civilisations, along with their repercussions. I intentionally selected the title "The Culture of Dialogue in the Holy Quran " to demonstrate that dialogue is not a peripheral or minor element of the Quran ic text, but rather a significant characteristic of it. The Quran advocated for discussion, delineated its characteristics, and cautioned against its drawbacks. Integrating all these elements, we arrive at what may be termed a "culture of dialogue in the Holy Quran".

Introduction

تأملات ادبية حوارية في القران الكريم (سورة طه انموذجاً)

أ.م.د مناضل عادل قاسم
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
munadil.adil@iku.edu.iq
م.د عماد كاظم كاطع
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
السيدة فرح سامي
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة

المستخلص

القرآن الكريم زاخرٌ بالحوار، واتخذه منهجا أســـاســـيا للإقناع والتواصـــل بين الناس على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم وأفكارهم وتصـــوراتهم عن الله والحياة والغيب والدار الآخرة. هذا ما دفعني للتوقف والتأمل في قواعد الحوار وآدابه ومتطلباته في القرآن الكريم، وخاصـــة الحوار بين المختلفين اختلافا يصـــل إلى حد التناقض. يقول تعالى: {قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ }. وما لفت انتباهي بشدة وصفه تعالى للمنكرات في حق المسلمين بالإجرام: {قُل لَّا تُسْـأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا}، بينما وصـف المنكرات في حق الكفار وصـفا محايدا، ولم يتخذ موقفا سـلبيا منها، قائلا: { وَلَا نُسْـأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}. هذان الوصـفان مبنيان على الافتراض السـابق في الآية التي تسبقه، ذلك الافتراض الذي يضـع المتحاورين على كفتين متساويتين دون مواقف مسبقة {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، وهما بلا شك يمثلان أنسب أرضية لحوار جاد وبناء يهدف إلى الإقناع ثم الإصلاح. يندرج هذا الموضوع في إطار ما يمكن تسميته بإعادة استحضار القرآن الكريم؛ فالقرآن الذي خلق هذه الأمة حتى سميت

باسمها وعرفت بين الناس بأمة القرآن، كان له حضور بارز في حياتها. قد يتساءل معترض: كيف يكون ذلك وهو يُتلى ليل نهار؟! أقول: هذا الأمر لا يغير من الحقيقة شيئًا. فالمسألة ليست طلبًا لمزيد من التلاوة، بل هي دعوة إلى ما هو فوق ذلك، أعني التفكر والفهم والعمل. ومن الملاحظات الواضحة أن الاستنباط من القرآن الكريم لم يعد على ما كان عليه سابقًا! إذا كانت الأمة في العصور الغابرة قد اتخذت القرآن الكريم منطلقها وغايتها ومحط اهتمامها، منه تنطلق وإليه تعود، وبه تقيس، وعلى ضوئه تحكم وتزن ثقافات الشعوب والحضارات التي تتعلمها، فإن حالنا اليوم قد تغير كثيرًا! وهذا الوضع يتطلب منا مراجعة شاملة في إطار السؤال الكبير: "كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟". ومع أن المشكلة بهذه الشمولية والاتساع، فإن ادعاء إحاطتها في بحث، مهما كان حجمه، ضرب من الخيال. إلا أن ذلك لا يمنع من الإسهام في إثارتها، وهو ما نرجو ألا يكون بلا فائدة. لذا، وانطلاقًا من مبدأ: "ما لا يُدرك لا يُترك"، اخترتُ مجال الحوار في القرآن الكريم، راجيًا أن نسهم فيه ضمن دعوة عامة لمزيد من التواصل، لعلّ ذلك يخفف من حدة ما نسمعه ونراه من صراع بين الأفراد والشعوب والحضارات وما يتبعه. أما عنوان مداخلتي، "ثقافة الحوار في القرآن الكريم"، فقد اخترته عمدًا؛ لإثبات أن الحوار ليس جانبًا ضيقًا أو ثانويًا من جوانب النص القرآني، بل هو سمة بارزة فيه. فقد دعا القرآن إلى الحوار، وحدد معالمه، وحذّر من مساوئه. وبجمع كل هذا، نحصل على ما يمكن تسميته "ثقافة الحوار في القرآن الكريم".

الكلمات المفتاحية: تأملات, ادبية حوارية, القران الكريم, سورة طه.

المبحث الاول
التعريف بالبحث
المطلب الاول
تعريف التأمل في اللغة والاصطلاح

اولاً: التأمل في اللغة:

وهو دقيق النظر، واستعمال الفكر في المخلوقات بغرض الاتعاظ والتذكر . ومنه التأمل المعرفي، وهو إمعان النظر في الحوادث، وضبط صفاتها، وتقريب بعضها من بعض للكشف عن القوانين . ومنه التأمل الفلسفي، وهو استغراق ذهنيّ، أو حالة يستسلم فيها الإنسان لما يمرّ في خاطره من معانٍ، وأفكار، عن طريق التفكير المتعمِّق في موضوع يتطلّب تركيز الذهن، والانتباه[1].

([1]) ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت – لبنان، 1982م، 159/1. وينظر: أحمد إبراهيم كاظم، دراسات في التربية الإسلامية وأصولها النظرية والفلسفية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة ، 1983م، ص55.

والتَّأَمُّلُ: تَكْرارُ النَّظَرِ وإدامَتُهُ، تَقولُ: تَأَمَّلَ في الشَّـــيْءِ: إذا أَعادَ النَّظَرَ فيه مَرَّةً بعد أُخْرَى. والتَّأَمُّلُ أيضـــاً: التَّمَهُّلُ في النَّظَرِ والتَّأَنِّي، وتَأَمَّلَ في الأَمْرِ، أيْ: تَمَهَّلَ في النَّظَرِ فيه ولم يَسْتَعْجِلْ. وأَصْلُ الكَلِمَةِ مِن الأَمَلِ، وهو: الرَّجاءُ والتَّوَقُّعُ والانْتِظارُ. ويُطْلَقُ على التَّثَبُّتِ والتَّيَقُّنِ، فيُقال: تَأَمَّلَ الرَّجُلُ: إذا تَثَبَّتَ في الأَمْرِ. ومِن معانِيه أيضاً: التَّبَصُّرُ والتَّفَكُّرُ والتَّدَبُّرُ[2].

ثانياً: التأمل اصطلاحاً:

يَرِد مُصْـطلَحُ (تَأَمُّل) في عِدَّة مواضِـــع، منها: باب: تَزْكِيَّة النُّفُوسِ، وباب: الزُّهْد والوَرَع، وباب: آداب تِلاوَةِ القُرْآنِ، وغَيْر ذلك[3].

التَّأَمُّلُ مِن أَعْظَمِ عِباداتِ القَلْبِ، وهو أَصْـــلُ الخَيْراتِ ومَبْدَأُ العُلُومِ والمَعارِفِ، ويَشْـــمَلُ التَّأَمُّلَ والتَّفَكُّرَ في مَصـــالِحِ الآخِرَةِ وفي طُرُقِ جَلْبِها، وفي دَفْعِ مَخاطِرِ الآخِرَةِ وفي طُرُقِ اجْتِنابِها، والتَّأَمُّلَ في مَصـــالِحِ الدُّنْيا وطُرُقِ تَحْصِيلِها، وفي مَفاسِدِ الدُّنْيا وطُرُقِ الاحْتِرازِ مِنْها. وأَعْظَمُ الأَقْسامِ: التَّأَمُّلُ في مَصالِحِ الآخِرَةِ، كالتَّأَمُّلِ في آياتِ اللهِ الشَّرْعِيَّةِ والكَوْنِيَّةِ[4].

المطلب الثاني

تعريف الحوار في اللغة والاصطلاح

اولاً: تعريف الحوار لغة:

أصـله من "حوار" أي الرجوع من شـيء أو إلى شـيء. "تحاوروا" أي مراجعة الكلام. الحوار مراجعة للمنطق والكلام في الحديث [5]. الحوار والمحاورة مترادفان في الكلام، بما في ذلك التحاور [6].

ثانياً: تعريف الحوار اصطلاحاً:

راجعة وتبادل الكلام بين طرفين. وقد عرّفه البعض بأنه نوع من الحوار بين شـــخصـــين، أو جماعتين، يتم فيه تبادل الكلام بينهما بالتســـاوي، بحيث لا يســـتأثر أحدهما دون الآخر، ويســـوده الهدوء والبعد عن العداوة

([2]) ينظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا، ص159.

([3]) عبد السلام محمد هارون، مقاييس اللغة، المجلد الاول، دار الجيل ، ج6، ب.ت .140/1. و محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب ، تهذيب اللغة، ج8، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م :284/15.

([4]) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـــ] ، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط1، ج11، دار الكتب العلمية – بيروت، 2000م، 416/10.

([5]) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـــ) ، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1983م، ص 66.

([6]) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـــ) ، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ب.ت، ص 75.

والتعصـــب. وهو نوع من الآداب الرفيعة وأحد أســـاليبها [7]. والفرق بين الحوار والجدال هو أن الجدال شـــدة في الكلام، مع التمسـك بالرأي والتعصـب له، وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصـومة بالضـــرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصـــب[8]. هناك فرق بين الحوار والمناظرة، المناظرة تدل على التأمل والنظر، أما الحوار فتدل على مراجعة الكلام ومناقشـــته[9]. يبدو لي أن الاختلاف نظري، ويعود إلى ظهور بعض المصطلحات وشيوعها في عصر دون آخر. ففي عصر كان مصطلح "المناظرة" شائعًا في كل نقاش بين شـخصـين حول مسـألة علمية، حتى إنك نادرًا ما تجد مصـطلح "الحوار" عند القدماء. ثم في هذا العصـر، شـاع مصطلح "الحوار" بهذا المعنى، حتى إنك نادرًا ما تسمع غيره [10].

المطلب الثالث

الحـــوار فـــي القـرآن الكريم

لقد أولى القرآن الكريم أهمية كبيرة للحوار، وهذا ليس بغريب، فالحوار هو خير ســـبيل للإقناع، ينبع من أعماق صاحبه، والإقناع أساس الإيمان، لا يُفرض فرضًا، بل ينبع من داخل الإنسان. وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة كثيرة على الحوار، منها ما جرى بين إبراهيم عليه السلام والرجل الذي آتاه الله الملك [11]، قصة موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن يأذن له برؤيته [12]، قصة عيسى عليه السلام حين سأله ربه هل سألت الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله عز وجل [13]، وقصـة أصـحاب الجنتين[14]، وقصـة قارون مع قومه[15]، وقصـة داود عليه السـلام مع الخصـمين[16]، وقصـة نوح عليه السـلام مع قومه[17]. وقصـة ابني آدم[18]، وقصـة موسـى عليه السـلام مع العبد الصـالح[19]. ومن يتأمل هذه الأمثلة وغيرها يتأكد أن القرآن الكريم يعتمد بشـكل كبير على

([7]) الفروق اللغوية : (ص 75).
([8]) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، ج4، دار المعرفة – بيروت، ب.ت، 126/4.
([9]) ينظر: صالح بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، مجلد1، دار المنارة للطباعة والنشر، ب.ت.، ص28.
([10]) ينظر: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، آداب الحوار (دراسة تأصيلية)، دار الوطن للطباعة والنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ب.ت، ص 153.
([11]) في سورة البقرة، آية 258-259.
([12]) في سورة الأعراف، آية 143.
([13]) في سورة المائدة، آية 116.
([14]) في سورة الكهف، آية 18.
([15]) في سورة القصص، آية 76.
([16]) سورة ص، آية21.
([17]) سورة الأعراف، آية 59.
([18]) سورة المائدة، آية 27.
([19]) سورة الكهف، آية 65.

أسلوب الحوار في توضيح المواقف، وكشف الحقائق، وهداية العقل، وتحريك الوجدان، والتدرج في الجدل احتراماً لكرامة الإنسان، ورفعاً لمكانة العقل الذي ينبغي أن يقتنع بالدليل الواضح والنور [20].

أصول الحوار:

هناك تداخل وتقارب واضح بين المبادئ والأدبيات. قد يكون في المبادئ أدبيات تُسهم في نجاح الحوار [21]، ذلك، نشير هنا إلى بعض المبادئ المهمة، وترك الباقي في فقرة أخرى حول آداب الحوار. ومن أهم مبادئ الحوار:

الأصل الأول: ينبغي أن يكون الحوار في سبيل الله تعالى، أي لكشف الحقيقة والوصول إليها. ويجب أن تكون هذه الرغبة حاضرة لدى الطرفين، وألا يكون الهدف مجرد الغلبة والغلبة. بل أن يكون الحوار خاليًا من التعصب، ومجرد البحث عن الحقيقة، بعيدًا عن العنف والعاطفة، وبعيدًا عن كل ما يُفسد القلوب ويُهيج النفوس [22].

الأصل الثاني: المعرفة: يجب على المُحاور أن يكون مُلِمًّا بالموضوع الذي يُريد مُناقشته. لا ينبغي لأحد أن يدخل ساحة الحوار قبل أن يُجهّز نفسه بالكامل بالأدوات العلمية والفكرية اللازمة. فموضوع الحوار، والمعرفة بتفاصيله، والتسلح بالحجج والأدلة، أسلحة فعّالة في يد المُحاور الناجح، تُمكّنه من الوقوف على أرض ثابتة لا رمال متحركة [23].

الأصل الثالث: يجب أن يكون هناك تكافؤ بين الطرفين، أي أن يكونا متقاربين في المعرفة والثقافة والعقل والفهم، وإلا غلب الجهلاء ، وفي ذلك يقول الإمام علي (عليه السلام) ما جادلت جاهلاً إلا وغلبني وما جادلت عالماً إلا غلبته، كذلك يجب أن نأخذ بالاعتبار التكافؤ في المنهج والأسلوب فلا يجدي حوار بين طرف منفتح متحرر مع طرف آخر متعصب منغلق على ذاته [24].

([20]) ينظر: أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي https://www.moswarat.com ..

([21]) ينظر: يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث رمادي للنشر، ط1، 1414هـ- 1994م ، ص56.

([22]) أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن للطباعة والنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1413هـ، 1993م، ص 20.

([23]) مجموعة مؤلفين ، أعضاء هيئة التدريس قسم الدراسات الإسلامية، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، ب.ت، ص24.

([24]) بحار الأنوار - العلامة المجلسي : ١ \ ١٦٠

الأصل الرابع: تحديد موضوع الحوار ونقطة الخلاف. قد يختلف طرفا الحوار في مسائل عديدة، لا مسألة واحدة فقط، ثم يدور الحوار في مسألة أخرى دون الاتفاق على المسألة الأولى. فيتفرع الحوار ويطول في مسألة ثانوية بعيدة عن موضوع الحوار، فيصبح عائمًا، بلا ضوابط، بلا رقيب، بلا نتيجة [25].

الأصل الخامس: نهائية النتائج ونسبيتها: من المهم معرفة أن الرأي العقلي في هذا المبدأ نسبي في دلالته على الصواب أو الخطأ، وما عدا ذلك يدخل في نطاق القول المأثور: "رأيي صواب وقد يكون خطأ، ورأي غيري خطأ وقد يكون صوابًا". وبناءً على ذلك، ليس من شروط نجاح الحوار أن يتفق أحد الطرفين مع رأي الآخر. فإذا تحقق ذلك واتفقا على رأي، كان المعنى المقصود هو الغاية النهائية، وإلا كان الحوار ناجحً [26].

آداب الحوار:

أولى الإسلام أهمية بالغة للحوار، إيمانًا منه بأن الفطرة البشرية تميل إليه. ويدعو إلى الالتزام بالآداب الصحيحة لكل من يرغب في المشاركة في أي حوار، ليوفق -إن شاء الله- في تحقيق الأهداف المرجوة. ومن آداب الحوار:

1. **المحاورة بالحسنى:** من أهم ما ينبغي للمُحاور التركيز عليه في حواره الالتزام بآداب الحديث والجدال، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [27].
2. **التواضع بالقول والفعل:** يجب تجنب كل ما يدل على الكبر والعجب والكبرياء، ومن التواضع في الحوار ترك ألفاظ تدل على الكبر والكبرياء، مثل: رأينا كذا، ورأيت كذا، وقلت، وما أشبه ذلك [28].
3. **حسن الاستماع:** يفشل كثير من الناس في ترك انطباع إيجابي في نفوس من يلتقون بهم لأول مرة، لأنهم لا يصغون إليهم جيدًا. يُركزون اهتمامهم على ما سيقولونه للمستمع. فإذا تكلم المستمع، لا يُعرونه اهتمامًا، لعلمهم أن معظم الناس يُفضلون المستمع الجيد على المتحدث الجيد [29].
4. **العدل والإنصاف:** يجب على المُحاور أن يكون منصفًا، لا أن يُبرر الحق، بل أن يُبدي إعجابه بما يُقدمه من أفكار صحيحة، وأدلة جيدة، ومعلومات جديدة. لهذا الإنصاف أثرٌ بالغ في قبول الحق، كما يُعطي المُحاور روح الموضوعية. فالتعصب وعدم قبول الحق من الصفات المُذمومة في كتاب الله، فقد أمرنا الله بالإنصاف

---

[25] الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، ص 64.
[26] أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، ص 23.
[27] سورة الإسراء، آية 53.
[28] أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص: 49.
[29] المصدر نفسه.

حتى مع أعدائنا، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[30][31].

5. **الحلم والصبر:** يجب على المفاوض أن يكون حليماً صبوراً، ولا يغضب لأتفه الأسباب، فإن ذلك يؤدي إلى النفور منه والبعد عنه، ولا يؤدي الغضب إلى الخصم وهدايته، فيكون ذلك بالحلم والصبر، ومن صفاته كما قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[32] ، من أعلى مراتب الصبر ردّ الأذى باللطف، لما لذلك من أثرٍ عظيم على المُحاور. فكثيرٌ ممن اهتدى لم يُهتدي بعلم المُحاور وأسلوبه في الجدل، بل بحسن خلقه وحسن خلقه وتحمله للأذى وردّه باللطف [33]. الحوار الإيجابي السليم هو حوار موضوعي ينظر إلى الإيجابيات والسلبيات في آنٍ واحد، ويرى العقبات، ويرى أيضًا إمكانيات تجاوزها. إنه حوار صادق وعميق، واضح الكلمات ومعانيها. إنه حوار متكافئ يتيح للطرفين فرصة التعبير والإبداع الصادق، ويحترم الرأي الآخر، ويدرك حتمية اختلاف الآراء بين الناس، وآداب الاختلاف، وتقبّله.

المبحث الثاني

الحوار في القصص القرآني

المطلب الاول

أنواع الحوار القرآني

الحوار أسلوب من أساليب التقارب والتفاعل، أي أنه ذو أصل ثابت في الحضارة الإسلامية، وقد استمر في ممارسة فاعليته التواصلية من خلال اتخاذ أنماط مختلفة، كل نمط يتناسب مع طبيعة المخاطبين [34].

أولاً: الحوار البرهاني: لأنه يُكوّن دليلاً عقلياً من خلال الأسئلة والأجوبة، حيث يُلزم المخاطب بالموضوع الذي صيغ الحوار من أجله لإقناعه به وإرشاده إليه. وقد احتوى القرآن الكريم على أمثلة كثيرة من هذا النوع من الحوار تُلخص معنى الأسئلة القرآنية وأجوبتها الواجبة على المتحاورين، والنتيجة بديهية بديهية، يُقر بها كل عقل سليم. ولعل أقوى مثال على الحوار البرهاني هو إثبات وجود الخالق وتفرده بالإلهية، وقد ورد ذلك في صورة أسئلة في

---

[30] سورة المائدة، آية 8.
[31] المدخل إلى الثقافة الإسلامية، أعضاء هيئة التدريس قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، ص53.
[32] سورة آل عمران، آية 134.
[33] المدخل إلى الثقافة الإسلامية، أعضاء هيئة التدريس قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، ص 52.
[34] نجم عبد الله كاظم مشكلة الحوار في الرواية العربية عالم الكتب الحديث، الأردن، 1427هـ، 2007م،ص: 63.

حوار قرآني [35]، قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}[36] ، وقوله تعالى: {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ}[37]. فهي بيان أن الله هو الرزاق والمسؤول عن توزيع الرزق فيمده لمن يشاء ويمسكه عمن يشاء. ويستمر هذا الحوار بطريقة السؤال في قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}[38]. وهو بيان أن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن، وأن المشركين وشركائهم لا صلة لهم بالمجلس الأعلى، وهذه حقائق تثبت عجز المشركين وشركائهم، وبالمقابل تثبت سلامة نبي الله تعالى.

ثانياً: الحوار الوصفي: يدور هذا الحوار بين طرفين أو أكثر، يصف حالتهم النفسية أو يُشعر القارئ بها، بهدف إرشادهم إلى الاقتداء بالصالحين، والابتعاد عن كل شر وكراهية. وهو بدوره حوار بثلاثة أشكال [39].

1- حوار أهل النار مع بعضهم: إذ يتحاورون فيما بينهم ويبدون رأيهم في البعث يقول تعالى: {وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ، أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَآبَاؤُنَا الأولُونَ}[40].

ثالثاً: الحوار بين أهل الجنة: حيث يصف الله تعالى نعيم أهل الجنة الذين يتمتعون فيه، يقول تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ، فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}[41].

رابعاً: حوار بين أهل الجنة وأهل النار وأصحاب الأعراف: يصف لنا حال أهل الجنة وما هم فيه من نعيم، وحال أهل النار وما هم فيه من شقاء وشقاء وعذاب. ويبدأ الحوار بعد أن اطمأن أهل الجنة إلى منازلهم، واستيقظ أهل النار من غفلتهم، فيُلهم أهل الجنة. يقول الله تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ}[42]. ثم يأتي النداء الخاص لأهل النار على لسان مؤذن ينادي بين الجنة والنار، قال الله تعالى: {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ }[43] . وحتى يتم الحوار ويحقق لنا هدفه يرينا الله مشهد أصحاب الأعراف يقول تعالى:{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ أ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}[44].

([35]) سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقارنة وصفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: 61.
([36]) سورة الطور:35.
([37]) سورة الطور:37.
([38]) سورة الطور:38.
([39]) عبد الرحمن النحلاوي، ، ص: 233.
([40]) سورة الصافات: 15-17.
([41]) سورة الصافات: 41-44.
([42]) سورة الأعراف: 44.
([43]) سورة الأعراف: 44-45.
([44]) سورة الأعراف: 46.

فيجيب أصحاب الأعراف السلام لأهل الجنة يقول تعالى:{وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ }[45]، وبعد ما أذن لهم الدخول إلى الجنة فدخلوها بمغفرة من الله ورحمة منه[46].

خامساً: الحوار الخطابي:

كلُّ نداءٍ أو سؤالٍ يوجّهه القرآن الكريم لعباد الله، أو للرسول صلى الله عليه وسلم، أو لغيرهم من الناس، إنما هو حوارٌ بلاغيّ ليُعرّضهم للإجابة والرد، أو ليُلفت انتباههم، ويوجّه عقولهم وقلوبهم إلى أمرٍ يهمُّهم، ويُنبّههم إلى تصرفاتٍ مُشينةٍ يقوم بها المنحرفون ليتجنبها المؤمنون، وليتذكروا نعمة الله عليكم ويشكروه، وليُوقظوا عواطفهم وضميرهم. وكذلك الحوار البلاغيّ، فقد ورد في القرآن الكريم بصورٍ مُختلفة، منها ما هو مُوجَّهٌ للنبي صلى الله عليه وال وسلم، الذي تأثَّر بهذا الكلام حتى بكى. يقول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ التحريم }[47]. ونجد أيضاً الحوار موجهاً للناس من أجل إعادتهم إلى خالقهم الذي خلقهم منه، كما يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[48]. ونجد أيضاً الحوار البلاغي الذي يوجهه الله تعالى إلى عباده، والذي فيه عناية الله تعالى بعباده المؤمنين، قال الله تعالى: {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ}[49].

سادساً: دور الحوار: في هذا العصر، يُشكّل الحوار وسيلةً للتفاهم بين الدول والشعوب عبر ممثليها، لتضييق دائرة الخلاف وتقريب وجهات النظر المتعارضة والمتباينة. إلا أن هذا الحوار، الذي يجري بين الدول والشعوب، لا يستهدف الحق نفسه، ولا يدفع الضرر عن صاحبه حبًا به، بل يهدف إلى تحقيق المصالح، وإشباع الأهواء، وتقاسم المنافع [50]. والقرآن الكريم خاتم الكتب السماوية جاء ليعلم الإنسان كيف يكون الحوار عن طريق الفكر والعقيدة والعمل [51]. فحاور القرآن بذلك الإنسان ليعطيه أسس مسائل الكون والحياة ويدله على حلولها. ويلعب الحوار دورا جد مؤثر في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان الأدبية والعلمية فقد عاش مع تنوع الأفكار والآراء واختلافها، فبدأ يواجهها ليتجسد له المعنى الذي تنطلق فيه أفكار في مجال العرض وفي ميادين الصراع،

(45) سورة الأعراف: 46.
(46) عبد الرحمن النحلاوي ، ص: 21-23.
(47) سورة التحريم:1.
(48) سورة النساء:1.
(49) سورة الانبياء:9.
(50) عبد الرحمن النحلاوي، المرجع نفسه، ص10.
(51) محمد حسين فضل الله الحوار في القرآن الكريم، ج1، دار المنصوري للنشر، دب، دت، ص 7.

فيعطيها صفة الوضوح تفرض من خلالها هذا الرأي أو ذلك، ويجعل قضايا الفكر تتنامى وتتصاعد مخلفة وراءها عديد الأتباع والأنصار، مشكلين دوائر مختلفة ذات تيارات فكرية واقتصادية واجتماعية.

المطلب الثاني

الحوار في القصص القرآني

إن للقصة القرآنية من السمات الفنية الخالصة ما يجعلها ذات تأثير قوي في المتلقين، فمن خلال القراءة المتعمقة لنصوص هذه القصص القرآنية نجدها أوفت الغرض تماما، وهو غرض ديني بالدرجة الأولى، إضافة إلى ذلك حققت من خلال السياق والتنسيق القرآني معجزة مطالب الفن القصصي من خصائص وعناصر متميزة في الشخصيات والحدث والصراع والزمان والمكان، والتي تحققت في صورة متميزة متشابكة بحيث لا يمكن الفصل بينهما فوجود كل عنصر يتحقق بوجود العناصر الأخرى، فلا شخصية دون حدث ، ولا صراع بلا حوار ولا فعل بلا تشابك في خيوط الحدث وأفعاله، فالحدث يؤثر في الشخصية، كما تؤثر الشخصية فيه تقربا منها إلى الحسم أو هروبا إلى البعد عنه خوفا، ولم يخل موقف من مواقف الدعوة من الجدل الذي تتضمنه قصص الأنبياء من حوار هادئ[52].

أولاً – مفهوم الحوار القصصي: الحوار من السمات الفنية للقصة القرآنية، وهو حوار يدور بين شخصياتها على شكل سؤال وجواب. تحمل هذه الشخصيات أحداث القصة ومفاجآتها، وتصيبها مآسيها وآلامها. يروي الحوار ما جرى من تلك الأحداث، ويصف بعض الميول والرغبات والدوافع والنوايا في نفوس شخصيات القصة، ويوجه سلوكهم. [53]. الحوار هو المحرك الرئيسي لأحداث النص السردي، وهو الروح التي تسري في كيانه، والتي يتصاعد من خلالها الصراع بين شخصياته لتحقيق الهدف المنشود [54]. لذلك فإن الحوار حقيقي كالشخصيات، ولا يؤتي ثماره إلا إذا ارتبط بأحداث الجو العام للقصة والمجتمع في ذلك الوقت، من حيث العادات والسلوك، لأنه يتخيل مواقف إنسانية ويثير الشعور والفكر.

ثانياً– أشكال وصور الحوار القصصي: الحوار القصصي يعد من أبرز العناصر التعبيرية والتصويرية التي يسعى الخالق من خلالها إلى إقامة الحجة والبرهان في مناظرة الإيمان بين الأنبياء وأقوامهم، ليكون الحوار وسيلة لبناء قصة تروي العبر والأحداث عن الأمم السابقة [55] . من خلال القصص القرآني، نجد نماذج واقعية للحوار،

([52]) محمد قطب، القصة في القرآن الكريم، مقاصد الدين وقيم الفن دار قباء للطباعة والنشر، د ب، د ت، ص419.
([53]) عبد الرحمن النحلاوي، ص: 35.
([54]) طالب إسماعيل الزويغي، من أساليب التعبير في القرآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دب، 1996م، ص207.
([55]) فاتح عبد السلام، الحوار القصصي وعلاقته السردية، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، 1999م، ص18.

تتخذ أشكالًا وصورًا متعددة. وتتمثل أشكال الحوار في نوعين أساسيين: حوار ثنائي خارجي، وحوار أحادي داخلي.

1. الحوار الثنائي الخارجي:

وفيه يكون الحوار بين شخصين فأكثر، وهو على نوعين في القرآن هما:

أولا: حوار شبه عقلي : ويميل إلى الجدل غير القصصي، وله غرض ديني في إخبارنا عن خلاص الأمم السابقة مثل: نوح، وعاد، وثمود.

ثانياً: حوار قصصي: يجعل فيه القرآن المشاهد حاضرة متخصصة قادرة على ملء الفراغات التي تقع أثناء الحوار[56]. والقرآن الكريم حافل بهذا النوع من الحوار، فهو على صور وأشكال عديدة منها نماذج نستعرضها كما يلي[57]:

أ-حوار الله عز وجل في القصص القرآني: القرآن الكريم ساق لنا نماذج كثيرة من آداب الحوار، وأخلاقه وأهدافه في الوصول إلى حلول القضايا مع وضوح الهدف، والحوار كان بداية من السماء فقد حاور المولى عز وجل الأمة جميعا من رسل، أنبياء، ملائكة، ناس (كفارة، مؤمنين).

ب-حوار الله مع الملائكة الأبرار: قال تعالى: {وَ إِذْ قٰالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَةِ إِنِّي جٰاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قٰالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهٰا مَنْ يُفْسِدُ فِيهٰا وَ يَسْفِكُ الدِّمٰاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قٰالَ إِنِّي أَعْلَمُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ[30] وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاٰئِكَةِ فَقٰالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ[31] قٰالُوا سُبْحٰانَكَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ[32] قٰالَ يٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ[33]}[58] .

ج-حوار الله مع إبليس اللعين: رفض إبليس السجود مع الملائكة لأدم عليه السلام بأمر من الله عز وجل مكابرة وغرورا، فخرج عن طاعة ربه، فلعنه ربه جزاء ذلك، غير أن إبليس تمادى في غيه وطلب من المولى أن ينظره إلى يوم البعث ليغوي عباده ويردهم بعد إيمانهم كفارا، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ

(56) محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م، ص: 43.
(57) سليمان الطراونة دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية دار المعرفة، بيروت، 1413هـ، 1992م، ص169.
(58) سورة البقرة: 30-32.

لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ(18)}[59].

د- حوار الله مع الأنبياء في القصص القرآني: لقد اختار سبحانه وتعالى من بين البشر رسلا يصححون مسار العبادة، وقد كانوا مثل باقي البشر، قال تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }[60]. ونرى هنا انه من أبرز صور الحوار بين الله عز وجل وأنبيائه ذلك في قصة موسى(عليه السلام) عندما كلفه بالذهاب إلى فرعون ليبلغه رسالته. قال تعالى: { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ، وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ، إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ، قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ}[61].

ثم تحول الحوار إلى مناجاة بين الله تعالى وموسى وهارون: {وَاذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ، قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ، قَالَ لَا تَخَافَا ۚ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ، فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ}[62] . وكذلك حوار الله عز وجل مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[63] . وهي نماذج حية لحواره مع أنبيائه لتكليفهم وهدايتهم لتحقيق الهدف المرغوب فيه وهو هداية العباد لطريق النور والصواب والحق، ويحفل القصص القرآني بنماذج كثيرة منها حواره مع عيسى عليه السلام.

ثالثاً- حوار الأنبياء في القرآن الكريم:

رسل الله الكرام أدم ،نوح، صالح، لوط، شعيب، موسى، محمد، عليهم صلوات الله أجمعين رفعوا لواء الإيمان فكل قصصهم جاءت بحقيقة واحدة، وكل رسول بعث لتبليغ رسالة لقومه بعد انحرافهم فكان الحوار مصورا لذلك الجدل مع أقوامهم، فبذلك كانت رحلة الحوار طويلة في الكشف عن كيفية معالجة العقيدة في مجال التاريخ البشري سواء مع أقوامهم أو فيما بينهم[64].

---

(59) سورة الاعراف: 11-18.
(60) سورة ابراهيم: 11.
(61) سورة طه: 24-36.
(62) سورة طه: 43-48.
(63) سورة البقرة: 260.
(64) محمد الدالي، مصدر سبق ذكره ، ص: 284.

1- حوار الأنبياء مع أقوامهم:

أ- حوار سيدنا شعيب مع قومه:

شعيب عليه السلام أحد المرسلين إلى قومه، شعب مدين بن إبراهيم عليه السلام، لمعالجة انحرافهم حيث كانوا قوما كفارا يعبدون الأيكة ويبخسون في المكيال ويطففون في الميزان فبعث الله لهم رجلا منهم رسولا إليهم ينهاهم عن المنكر ويأمرهم بالمعروف فحوار شعيب معهم كان أكثر قوة دون الابتعاد على الجو الرسالي، حيث قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِن رَّبِّكُمْ فَأَوفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[65]. ولما كان من قومه التهكم عليه قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[66]. لم يتوان عن محاورتهم ومناداتهم متلطفا متوددا: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[67]. كما أن هناك نماذج أخرى لحوار الأنبياء مع أقوامهم وردت في القصص القرآني منها حوار سيدنا هود مع قومه وحوار لوط مع قومه وحوار صالح مع قومه وحوار إبراهيم الخليل مع قومه.

ب- حوار الأنبياء فيما بينهم: لقد ترفق الأنبياء والرسل في حواراتهم فيما بينهم، فخطابهم تسري فيه معاني الرحمة والإخلاص وحسن الأدب وترفعهم عن الألفاظ الماسة بالكرامة الإنسانية ليكونوا خير قدوة يحتذى بها ومن هذه الحوارات بين الأنبياء نذكر:

ج- حوار سيدنا موسى مع أخيه هارون(عليهما السلام): وفي هذا ذكر لأمر بني إسرائيل حيث ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث في الطور يناجيه، وبنوا إسرائيل يعبدون العجل باتخاذهم إياه إلها، وكان هارون خليفة لأخيه فنصحهم وأرشدهم ونهاهم عن عبادة العجل[68]، ودعاهم إلى عبادة الله ربهم الذي خلق الخلق فقدره قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[69]. لكنهم ظلوا في عنادهم ورفضوا الانصياع في دعوة هارون: {قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ}[70]. وبعد دعوة موسى غضب من قومه في ضلالهم بعبادتهم للعجل فكان غضبه عن أخيه قال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ

(65) سورة الاعراف:85.
(66) سورة هود:87.
(67) سورة هود:88.
(68) طالب إسماعيل الزويغي، المرجع السابق، ص216.
(69) سورة طه:90.
(70) سورة طه:91.

بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالمين}[71] . ولأن موسى متمسك بقيم الدين لم يتحمل رؤية قومه يعبدون العجل فحاول هارون عليه السلام استلطافه بألفاظ لينة ودعاه إلى الرفق به ورحمته، فعلل ما فعله ولم يخبر أخاه[72]. قال تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}[73]، خشي هارون أن يترك القوم بلا راع فيفرق شملهم فيلومه أخوه موسى (عليه السلام). كما نجد نماذج أخرى لحوار الأنبياء في القصص القرآني، منه حوار موسى مع فرعون وحوار موسى عليه السلام مع ابنتي شيخ مدين وحوار موسى وهارون(عليهما السلام).

د- حوار الأنبياء مع أبنائهم: فيه نماذج كثيرة منها حوار نوح عليه السلام مع ابنه العاصي وحوار يعقوب(عليه السلام) مع ابنه يوسف(عليه السلام).

هـ- حوار سيدنا نوح مع ابنه العاصي: لما قام نوح عليه السلام بتبليغ رسالة ربه إلى قومه الذين لم يستجيبوا له، فأعلن الله تعالى نهاية رسالته بأن يصنع فلكا تكون أداة لنجاته من الغرق الذي سيأتي على الكفار وأن يحمل معه في الفلك من كل زوجين اثنين من المؤمنين دونالكفار. وقد كان ولده من الكافرين فصور القرآن حواره معه في مزيج من مشاعر الأبوة والرسالة التبليغية، فنادى ابنه وهم يهمون بركوب الفلك[74]. ويقول تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ}[75]. لكن الابن لم يلب نداء والده وكذبه ولم يصدقه ورد عليه بقوله: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}[76]، معتقدا أن الجبل يعصمه من الماء فرد عليه أبوه: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ }[77] وغرق ابن نوح ومن معه من الكفار.

و: حوار الإنسان في قصص القرآن:

لقد خص القرآن من خلال الحوار حديثا عن النماذج البشرية المتنوعة لتكون كنموذج يحتذي به سواء في مجال الإيمان أو الكفر ، حاشدا ملامحهم المتميزين بها ومن هذه النماذج قربان هابيل وكانت سمينة ونزلت من السماء نارا أكلت قربانا قبيل فغضب وقال لأقتلك حتى لا تنكح أختي وبذلك بدأ الحوار بينهما قال أحدهما

([71]) سورة الاعراف: 150.
(72) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد، القاهرة 1428هـ، 2007م، ص151.
([73]) سورة طه: 94.
([74]) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، قصص الأنبياء، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1426هـ، 2005م ، ص74.
([75]) سورة هود:42.
([76]) سورة هود:43.
([77]) سورة هود:43.

للأخر (لأقتلنك) بلهجة الحاقد الطاغي فرد عليه الأخر بجملة طويلة ذات ألفاظ لينة:{ وَلَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العالمين}[78]. وقد عبرت عن صفاء روحي ومشاعر طاهرة، وندم قابيل على قتل هابيل لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}[79]،فخاطب نفسه:﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي}[80]. وهذه القصة تصور الجانب الخير والشرير في الإنسان، بالإضافة إلى هذا الحوار البشري نجد حوار صاحب الجنتين وكذا حوار طالوت وجالوت وحوار الإنسان مع الحيوان كما هو في قصة سليمان في حواره مع الهدهد.

المبحث الثالث

الحوار في القصص القرآني في سورة طه

المطلب الاول

تعريف سورة طه

1- التعريف بالسورة :

سورة طه من السور المكية، وعدد آياتها مائة وخمس وثلاثون آية. هدفها التركيز على أصول الدين والتوحيد والنبوة والبعث والدار الآخرة. تقع بين سورة مريم وسورة الأنبياء. في هذه السورة الكريمة، تتجلى شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تقوية عزيمته وتحصين روحه حتى لا يتأثر بالسخرية والتكذيب الموجه إليه. عرضت السورة قصص الأنبياء لتسلية الرسول وطمأنينة قلبه الكريم. وذكرت قصة موسى وهارون مع فرعون بالتفصيل، وخُصصت معظم السورة تقريبًا للحديث عنها، وخاصة موقف الدعاء بين موسى وربه، وموقف تكليفه بالرسالة، وموقف الجدال بين موسى وفرعون، والمبارزة بينه وبين السحرة. تكشف طيات تلك القصة عن عناية الله بموسى طفلاً وشاباً ونبياً. عرضت السورة قصة آدم عرضاً سريعاً عابراً، وختمت ببعض التوجيهات الإلهية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصبر وتحمل الأذى في سبيل الله حتى يأتي نصر الله [81].

2- سبب التسمية: سُمّيت سورة طه بهذا الاسم لتسكين قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتسليةً له عما لاقاه من الرفض والعناد. ولذلك بدأت السورة بالرفق به ودعوته [82] وطه ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}[83].

([78]) سورة المائدة: 28.
([79]) سورة المائدة: 31.
([80]) سورة المائدة: 31.
([81]) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط4، بيروت، 1981، ص: 339
(82) محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ص: 341
(83) سورة طه: 21.

3- سبب النزول: {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} روى ابن مردويه عن ابن عباس أن أول ما أنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي أن يقوم على بطن قدميه إذا صلى، فأنزل الله و طه {مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}، وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: قالوا: لقد شقي الرجل بربه، فأنزل الله{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}. قوله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا }[84]. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال قالت قريش يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة فنزلت هذه الآية. قوله تعالى:﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[85]. أخرج ابن حاتم عن السدي قال: كان النبي صلى الله عليه واله وسلم إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه حتى يشق عليها يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[86] أخرج ابن شيبه وابن مردوية عن أبي رافع قال: أضاف الرسول ضيفا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقا إلى هلال رجب فقال: لا إلا ،برهن فأتيت النبي صلى الله عليه واله وسلم فأخبرته فقال أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من عنده حتى نزلت الآية[87].

نبذة عن قصة موسى من خلال سورة طه:

موسى عليه السلام من كبار أولى العزم هو ابن عمران بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أمه يوكايد بنت لاوى ولد بعد(64) سنة من وفاة يوسف، قبل ميلاد أصاب العبرانيين اضطهاد من فرعون في أرض مصر، حيث موسى أصدر أمر بقتل كل مولود من بني إسرائيل وفي هذه الأثناء ولد موسى عليه السلام، خشيت أمه عليه من كيد فرعون فقذف الله في قلبها:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }[88] فساق الماء الصندوق حتى دنا من قصر فرعون، فطلبت منه امرأته أن يبقيه على قيد الحياة ففعل، وأسموه موسى "المنتشل من الماء[89]. ولما بلغ أشده أوحى الله له أن يحمل الرسالة إلى الطاغي فرعون وأيده بمعجزات وأنجاه من فرعون وقومه، ومن الأحداث التي جرت لموسى عليه السلام لقاؤه بالعبد الصالح "الخضر"، وأيضا إيذاء قارون له، فدعا عليه موسى فخسف الله به

(84) سورة طه : 105.
(85) سورة طه: 114.
(86) سورة طه131.
(87) جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1419هـ، 1998م، ص195.
(88) سورة القصص: 7.
(89) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء،ص234.

الأرض، ثم توفي عليه السلام بعد أخيه هارون بأحد عشر شهرا بعد ما بلغ(120) سنة ودفن بالأرض المقدسة[90]

.

المطلب الثاني

بعض صور الحوار في سورة طه:

أولاً: حوار موسى مع ربه في الوادي المقدس:

بعدما قضى موسى عليه السلام الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم سار بأهله قاصدا بلاد مصر، فضل الطريق وكانت ليلة شتائية وكان هناك ضباب وظلام، شديد فجعل يقدح بزند ليوري نارا، لكن دون جدوى فأنس من جانب الطور نارا، فقال لأهله امكثوا لقد وجدت نارا، فلما أتاها ناداه الله يا موسى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ، فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾[91] . فرغم أن فرعون رأى من المعجزات الدالة على نبوة موسى من العصا واليد إلا أنه كذب وأبى وقال بل جئتنا يا موسى بهذا السحر لتخرجنا من أرض مصر فلنعارضنك بسحر مثله ليظهر للناس أنك ساحر ولست برسول، فعيّن لنا وقت اجتماع لا نخالفه نحن ولا أنت في مكان واحد ووقت معيّن فقال موسى: موعدنا للاجتماع يوم العيد – يوم من أيام أعيادهم، وأن يجتمع الناس في ضحى ذلك النهار، قال المفسرون: وإنما عيّن ذلك اليوم للمبارزة ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار بظهور معجزاته للناس ثم يقول تعالى في تمام الْآيَاتِ: { فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ، قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ، فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ، قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ، فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ}[92]. أي باشر فرعون وانصرف لجمع السحرة ثم أتى في الموعد ومعه السحرة وأدواتهم وما جمعه من كيد ليطفئ نور الله قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصى ،فقال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ويلكم لا تختلقوا على الله الكذب فيهلككم ويستأصلكم بعذاب هائل فقد خسر وهلك من كذب على الله ، قدم لهم النصح والإنذار لعلهم يتوبون إلى خالقهم[93]. لما سمع السحرة منه المقالة هالهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابته ولذلك تنازعوا في أمره أي اختلفوا في أمر موسى فقال بعضهم: ما هذا بقول ساحر وأخفوا ذلك عن الناس وأخذوا يتناجون سرا وقالوا بعد التناظر

(90) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن، ص133.
(91) سورة طه : 11-16.
(92) سورة طه 60-64.
(93) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 199.

والتشاور : ما هذان إلا ساحران يريدان الاستيلاء على أرض مصر. قال المفسر الزمخشري:" والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجاذبوا أهداب القول ثم قالوا: قوله تعالى:﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبة موسى وهارون لهما وتثبيطا للناس من إتباعهما"، قال المفسرون: أرادوا بالفلاح وبما وعدهم به فرعون من الإنعامات العظيمة والهدايا الجزيلة مع التقريب والتكريم. كما قال تعالى: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[94]. في هذه الأثناء بدأت المبارزة بين موسى والسحرة وأعلانهم علنا إيمانهم به حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) }[95]. طلب السحرة من موسى أن يلقي هو أولاً، فأبى موسى لهذا وقال لهم أي السحرة: أنتم أولاً، ليرى ماذا يصنعون من السحر، فألقوا بكل ثقة كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾[96]. وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة لسحر أعين الناس[97]. حين ألقى كل ساحر عصاه وحبله حتى صار الوادي ملان حيات يركب بعضها على بعض خاف موسى من هذا[98]، حيث يقول تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)} [99]. يعني أن الله تعالى أوحى إلى موسى في تلك اللحظة أن يلقي عصاه فتبتلع ما صنعوا. خاف أن يفتن الناس ويخدعوا بهم قبل أن يلقي ما في يده اليمنى. فصارت عصاه تنينًا ضخمًا مهيبًا له عينان وأرجل ورقبة ورأس وأضراس. فبدأ يتبع تلك الحبال والعصي حتى لم يبق منها شيء إلا ابتلعها، وكان السحرة والناس ينظرون إلى ذلك جليًا، نهارًا وصبحًا. فحدثت المعجزة، وظهرت الحجة، وبطل ما كانوا يفعلون فوقعوا ساجدين [100] وقالوا: قوله تعالى ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ}[101]. اختلف المفسرون في عدد السحرة قال ابن عباس أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وكانوا اثنين وسبعين ساحرا. قال الأوزاعي: لما خرّ السحرة سجدًا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها، وبهذا يكون الله قد نصر موسى وهارون وأحق الحق وأبطل الباطل[102]. في تمام الآيات

(94) الشعراء 41-42
(95) سورة طه 65-66
(96) الشعراء 44
(97) سورة طه 67-70.
(98) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ص: 202.
(99) سورة طه 70-71.
(100) الشعراء 47-48
(101) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المصدر السابق، ص: 352
(102) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ص: 209.

يقول فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه بما جاء به قبل أن أسمح لكم بذلك وقبل أن تستأذنوني حيث يقول تعالى: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ نَّ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[103]. أراد فرعون بقوله هذا أن يلبس على الناس حتى لا يفتنوهم فيؤمنوا كإيمانهم ثم توعدهم وهددهم بالقتل والتعذيب فقال: لأقطعن الأيادي والأرجل منكم مختلفات، يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس، ولأعلقنكم على جزوع النخل وأقتلكم شر قتلة، فرد عليه السحرة: لن نختارك ونفضلك على الهدى والإيمان الذي جاءنا من الله على يد موسى ولو كان في ذلك هلاكنا فاصنع ما أنت صانع[104]. وهنا تشير الآيات إلى عناية الله تعالى بموسى وقومه وإنجائهم وإهلاك عدوهم وتذكيرهم بنعم الله العظمي ومنيته الكبرى على بني إسرائيل وما وصاهم به من المحافظة على شكرها وتحذيرهم من التعرض لغضب الله بكفرها.

ثانياً: حوار موسى مع هارون وفتنة السامري:

بعد المسير ببني إسرائيل وإغراق فرعون وجنوده ونعم الله على بني إسرائيل، مضى موسى إلى الطور واستخلف على قومه أخاه هارون شوقا إلى كلام ربه حيث قال تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[105]. فأخبر الله تعالى نبيه موسى بما جرى بعد ذلك في بني إسرائيل وعبادتهم للعجل الذي صنعه لهم السامري. وكان هذا ساحرًا منافقًا من قوم يعبدون البقر. فجمع السامري الحلي ثم صنع منها عجلًا ودعاهم – بني إسرائيل – إلى عبادته، فأخلصوا له. وقد أصابهم ذلك البلاء بعد خروج موسى حين رجع من الجبل بعد أن كمل أربعين يومًا، فأخذ التوراة غاضبًا حزنًا شديدًا على ما صنع قومه بعده، كما قال الله تعالى:{فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي} [106]. أي قال لقومه: هل طال عليكم الزمان حتى نسيتم العهد، أم أردتم بفعلكم هذا أن تنزل عليكم غضب الله وسخطه؟ قال قومه: ما نقضنا العهد بقوة ولا إرادتنا ولا اختيارنا، ولكنا اضطررنا بأمر السامري. [107].

ذكر المفسرون أن بني إسرائيل استعاروا حليًّا من القبط قبل رحيلهم. فلما أبطأ موسى في العودة، قال لهم السامري: ما حبسني عنكم إلا ما معكم من حلي. فجمعوها وأعطوها للسامري، فألقاها في النار، فصنع لهم منها عجلاً، ثم ألقى عليها قطعة من أثر فرس جبريل عليه السلام، فخرج عجلاً بدناً بلا روح، له خوار، وهو صوت بقرة. قال الله تعالى:: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا

(103) سورة الشعراء: 49.
(104) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ص211.
(105) سورة طه: 84.
(106) سورة طه: 86.
(107) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن، ص 211.

يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[108]. قال قتادة: نسي موسى ربه عندكم فعكفوا عليه "يعبدونه أي هذا ما أخبرهم به السامري، فبين الله سخافة عقولهم وقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وهذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع أي هذا العجل الذي زعموا أنه إلههم لا يرد لهم جوابا ولا يقدر أن يدفع عنهم ضرا أو يجلب لهم نفعاً[109]، ولقد نصحهم هارون ولكن دون جدوى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ، قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ، أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي 8 إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[110]. أي قال لهم هارون ناصحا ومذكرا من قبل رجوع موسى إليهم، إنما ابتليتم وأضللتم بهذا العجل فاقتدوا بي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله وأطيعوا أمري بترك العجل فقال قومه: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يعود إلينا موسى فننظر في الأمر، فلما رجع موسى ووجدهم عاكفين على عبادة العجل امتلأ غضبا الله وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه قال ابن عباس: أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لأن الغيرة في الله ملكته، وقال له، أي شيء منعك حين رأيتهم كفروا بالله أن لا تتبعني في الغضب الله والإنكار عليهم من ذلك الظلال؟ أخالفتني وتركت أمري ووصيتني؟[111]. أجاب هارون موسى استعطافا وترفيقا يا ابن أمي، أي أخي وذكر له أمه ترفيقا له وإلا فهو شقيقه من أمه وأبيه لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي إني خفت إن زجرتهم بالقوة أن يقع بينهم قتال وتقول لي لقد شعلت الفتنة بينهم ولم تنتظر أمري فيهم فمن أجل ذلك رأيت ألا أفعل شيئا حتى ترجع إليهم وتتدارك الأمر بنفسك[112]، ثم يخاطب موسى السامري قائلا: قال تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ةٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ةٌ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[113] . ومعناها أن موسى لما فرغ من معاقبة أخيه، التفت إلى ذلك السامري وسأله قائلاً: ما شأنك فيما صنعت؟ وما حملك على ذلك؟ فقال السامري: رأيت ما لم يروا، وهو أن جبريل أتاك على فرس الحياة، فأشار عليّ أن آخذ قبضة من أثرها، فما ألقيتها على شيء إلا نفخت فيه الروح، فأخذت شيئاً من أثر جبريل وألقيته على العجل، فخَرَّ، فطيبت نفسي وحسنت لي. فقال موسى للسامري: عقوبتك في الدنيا ألا تمس أحدا ولا

(108) سورة طه:88-89.
(109) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن، ص: 213.
(110) سورة طه 90-94.
(111) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن، ص: 213.
(112) المصدر نفسه ، ص: 215.
(113) سورة طَه:95-98.

يمســـك أحد، وأن لك موعدا للعذاب في الآخرة لن يتخلف، وأنظر إلى هذا العجل الذي أقمت ملازما على عبادته كيف نحرقه بالنار ثم لنطيرنه رمادا في البحر ، لا يبقى منه عين ولا أثر، وفي آخر هذا الحوار يقول موسى لبني إسرائيل إنما معبودكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا رب سواه ولا إله غيره وسع سبحانه كل شيء، فلا يخفى عن علمه شـــيء في الأرض ولا في الســـماء، كما أن هذا الحوار الذي دار بين موســـى وهارون فيه قمة الأدب والأخلاق وكيف لا وهما من أنبياء الله الذين لنا فيهم أسوة حسنة[114].

نخلص مما سبق ولدى تطبيقنا على (سورة طه) كونها الإبرز نموذج عن الحوار القصصي فيها وقسمناها في مطلبين في هذا المبحث تناولنا في الأول سبب نزول السورة وسبب تسميتها، وأرفقنا ذلك بعرض موجز لقصة موسى المتضمنة في (سورة طه). والثاني منه خصصناه لعرض بعض صور الحوار من خلال السورة.

الحوار الأول: كان حوار موسى(عليه السلام) مع ربه بالوادي المقدس، الذي دار حول اختيار المولى تبارك وتعالى لموسى وإرساله إلى فرعون، الذي تجبّر في الأرض وطغى فيها، للعدول عن هذا الفعل ودعوته لتوحيد الله وتخليص بني إسرائيل من مكره.

أما الحوار الثاني: فكان بين موســـى(عليه الســـلام) وفرعون، حيث دعاه موســـى(عليه الســـلام) لتوحيد الله فأعرض عن ذلك واتهمه بالسحر وتحداه بإحضار السحرة لإبطال معجزاته لكن نصر الله فوق ذلك.

الحوار الثالث: كان مع موســـى(عليه الســـلام) وأخيه هارون، ومداره ذهاب موســـى لمناجاة ربه وتركه أخاه هارون خليفة على قومه، لكن القوم فتنوا بعبادة العجل الذي صنعه لهم السامري، ولدى عودة موسى(عليه السلام) لآم أخاه هارون لسكوته عن هذا الأمر فبرر له ذلك حيث خشي أن تحدث تفرقة في القوم.

الخاتمة

وفي الختام ان الحمدلله رب العالمين، وفي نهاية موضوع بحثنا الموسوم بـ**(تأملات ادبية حوارية في القران الكريم (سورة طه انموذجاً))** من خلاله توصلنا إلى ما يلي:

1. القرآن معجزة الله تعالى.
2. يُمثل الحوار القرآني نموذجًا للحوار الغني من خلال مناهج الحوار التي اســـتعرضـــناها ســـابقًا، فهو يخاطب الوجدان بلغة الجمال.
3. الحوار لغة القرآن الكريم، خاتم الكتب السماوية، جاء ليعلم الإنسان كيف يكون الحوار طريقا للفكر والعمل.
4. خاطب الله تعالى في كتابه كل الأصناف البشرية، سواء كانت مؤمنة أم كافرة، قوية أم ضعيفة.

(114)عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المصدر السابق، ص 359.

5. يظهر الحوار في القرآن الكريم بأشكال وأنماط متنوعة في القصص القرآني. سورة طه تحتوي على العديد من الحوارات والعبر والأخلاق التي يمكن لكل مسلم أن يستفيد منها.
6. يتميز الحوار بحضور عدة شخصيات مؤدية له ومن مستويات مختلفة فتعددت بذلك المشاهد وتصاعدت الأحداث.
7. ومن خلال الحوار نتعرف على طبيعة الشخصية كعنصر فني، ونصور الشخصية من الداخل، مما يمكننا من الوصول إلى بنيتها النفسية والعقلية، كما نضفي الحيوية على المشاهد وقدرتها على التأثير.
8. اشتمل الحوار في سورة طه على عدة أساليب فنية بلاغية، تنوعت حسب مقتضى الحال والمقام.

المصادر

- القرآن الكريم.

1. ابن حميد صالح بن عبد الله معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1420هـ، 1990م.
2. ابن منظور جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب، مج3 ، دار صادر، بيروت، د.ت.
3. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط1، ج11، دار الكتب العلمية – بيروت، 2000م.
4. أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد، القاهرة 1428هـ، 2007م.
5. أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، قصص الأنبياء، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1426هـ، 2005م.
6. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، دار الغد الجديد، القاهرة، 1428هـ، 2007م.
7. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، ج4، دار المعرفة – بيروت، ب.ت.
8. أبو عبد الله فيصل بن عبده، فن الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، د ت.
9. أحمد إبراهيم كاظم، دراسات في التربية الإسلامية وأصولها النظرية والفلسفية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة ، 1983م.
10. أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن للطباعة والنشر، الرياض– المملكة العربية السعودية، 1413هـ، 1993م.
11. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الجدل بيروت، 1491هـ، 1991م.

12. أحمد حسن اللقاني، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج، عالم الكتب، ط2، د.ب، 1999م.
13. أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي https://www.moswarat.com .
14. بو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) ، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ب.ت .
15. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.
16. جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1419هـ، 1998م.
17. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتب اللبناني، بيروت –لبنانو مكتبة المدرسة ، بيروت –لبنان، 1982م.
18. سليمان الطراونة دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية دار المعرفة، بيروت، 1413هـ، 1992م.
19. سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقارنة وصفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان للمطبوعات الجامعية، الجزائر ب.ت.
20. صالح بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، مجلد1، دار المنارة للطباعة والنشر، ب.ت.
21. طالب إسماعيل الزويغي، من أساليب التعبير في القرآن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،د.ب، 1996م.
22. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، دار الرسالة د ط، القاهرة ، 1420هـ، 2000م.
23. عبد السلام محمد هارون، مقاييس اللغة، المجلد الاول، دار الجيل ، ج6، ب.ت .
24. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1983م.
25. فاتح عبد السلام، الحوار القصصي وعلاقته السردية، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، 1999م.
26. مجموعة مؤلفين ، أعضاء هيئة التدريس قسم الدراسات الإسلامية، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، ب.ت.
27. محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993م.
28. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب ، تهذيب اللغة، ج8، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م.

29. محمد حسين فضل الله الحوار في القرآن الكريم، ج1، دار المنصوري للنشر، دب، دت.
30. محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، آداب الحوار (دراسة تأصيلية)، دار الوطن للطباعة والنشر، الرياض– المملكة العربية السعودية، ب.ت.
31. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، طه، بيروت،1981.
32. محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، ج 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
33. محمد قطب، القصة في القرآن الكريم، مقاصد الدين وقيم الفن دار قباء للطباعة والنشر، د ب، د ت.
34. نجم عبد الله كاظم مشكلة الحوار في الرواية العربية عالم الكتب الحديث، الأردن، 1427هـ، 2007م.
35. يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث رمادي للنشر، ط1، 1414هـ– 1994م.